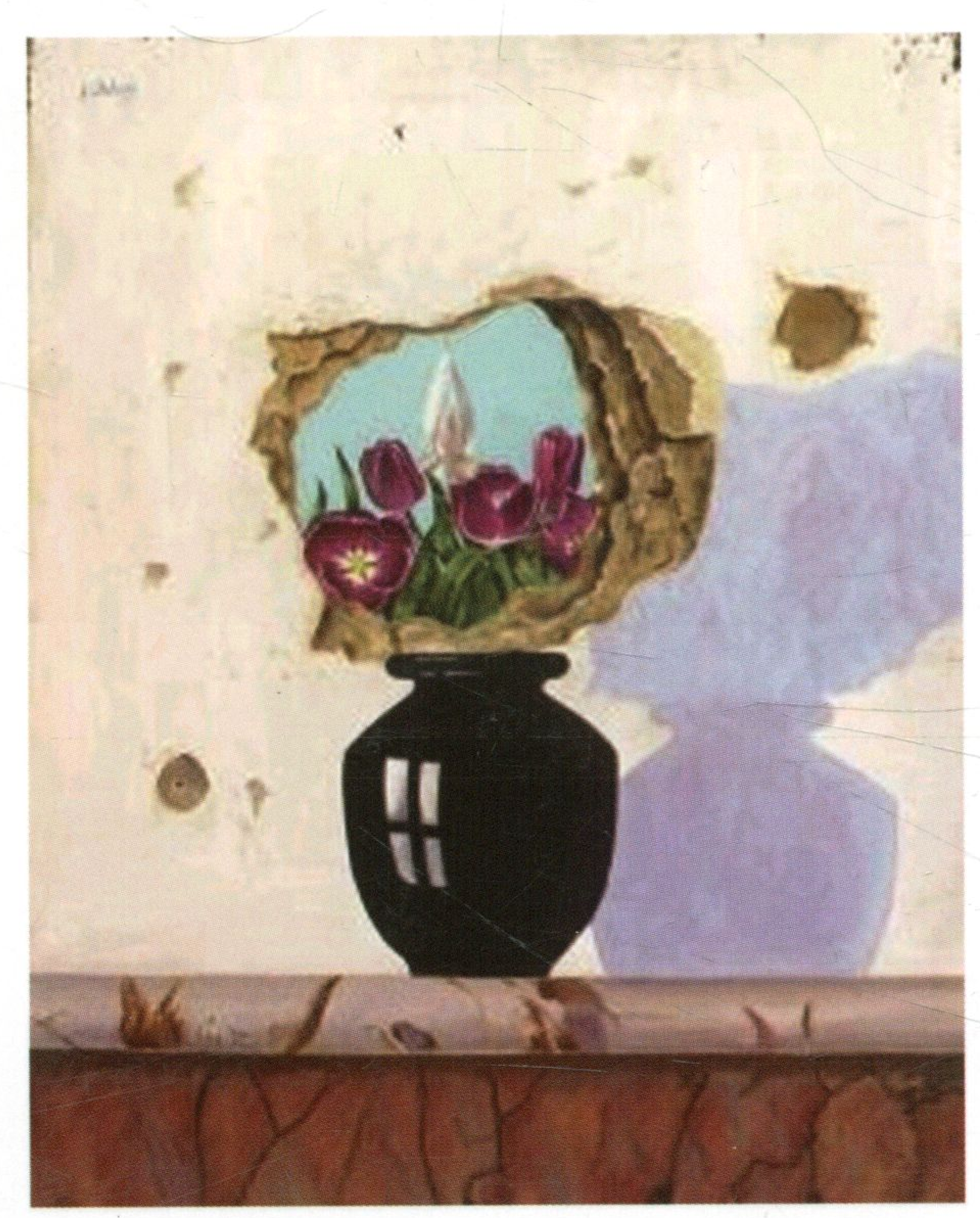




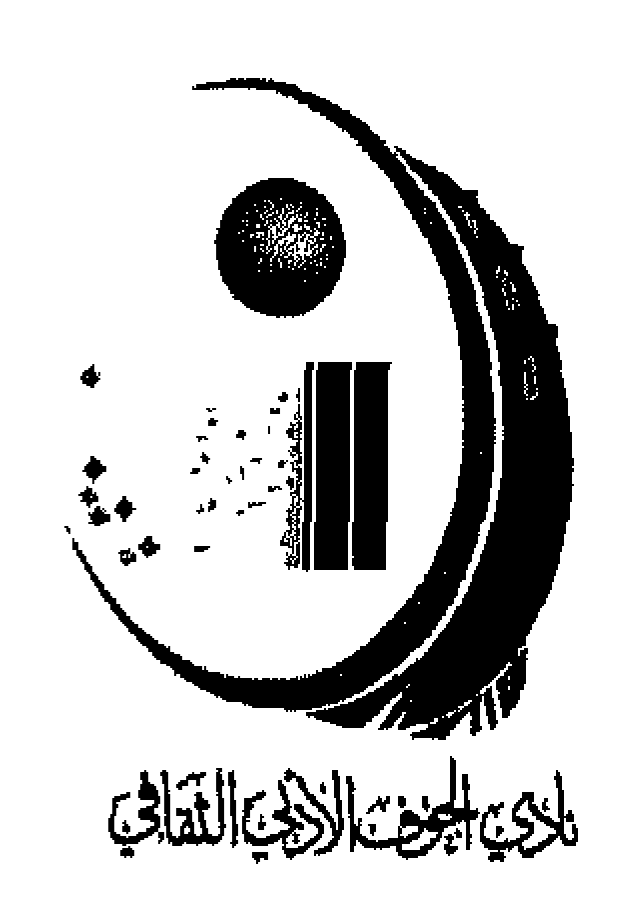
عبدالله الصيخان

زيارة



عبدالله الصيخان

زيارة

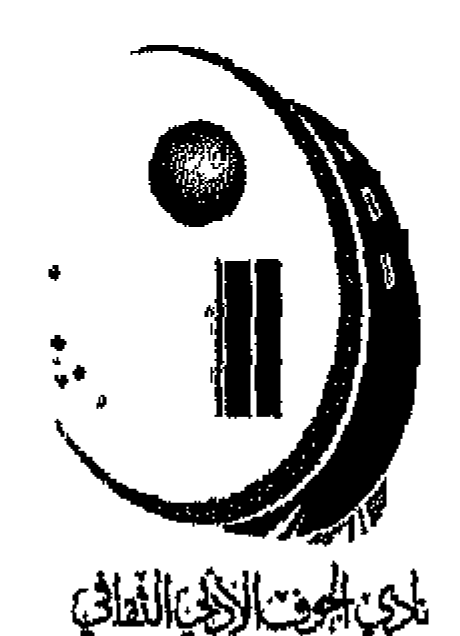




عبدالله الصيخان

زيارة

لوحة الغلاف: للفنان اللبناني أسعد شحادة



نادي الجوف الأدبي الثقافي
المملكة العربية السعودية
www.adabialjouf.com



ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffiusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت ـ لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-398-1

الطبعة الأولى 2013

الفهرس

زيـارة

من هاهنا. . نهرُ الطفولة مر

هذي سدرةُ الجيران تسدلُ ظلّ خضرتها على الجدران

وضممتُ لي من سدرها ما يملأُ الكفين. .

ثم شممته. . .

فرجعتُ طفلا

الله يا نهر الندى

قد كنت أحلى؟

من هاهنا نهرُ الطفولة سال

فانسابي وئيداً يا خطاي

بين ما يدعُ المكانَ على التراب

وبين ما يدعُ الفتى تحت الأظافر من تراب.

وتماثلي يا شهقتي الأولى

وتعال يا نهر الندى

والمس ثيابي

وتذكّري يا روحُ جيراني

فهم ملحُ الحيا

أما وقد طار الحمامُ على رؤوسِ النخل

فأقول سلّم يا حمامُ على صحابي

وكأنني إما أصختُ السمع أرهف بوحَ ضحكتها الخفيضة . .

في إهابي

فأقول سلّم يا حمام

قبل أظافرها وقل

مضناكِ أسقمه النوى

(أو قيل جنّ . . يمضي إلى الصحراء يلتقطُ الحصى ويعيد نسجَ حكايةِ المجنون)

لا ليله ليلٌ

ولا أيامه مثل النهار

وقل لها

أي والذي جعل النساءَ خبيئة الأبنا . .

وصبّ سنى المجرّة في زجاجٍ كالمدار . .

ما مرّ سافٍ في خيالِ الرمل

إلا وهو فوق الرمل . . ذاري

أو مرّ موجٌ في خيالِ البحر

إلا وهي رعشته التي نسجت على مهل إزاري

وقل لها أني تعبتُ من الجوى

عطشان . . أنتهبُ الخطى شوقاً إليها

وكأنني النجمُ الذي أبداً

طوال الدهر ساري

فمتى تفكّ حبيبتي الأولى . . .

إساري؟

القرين

إلى أخي محمد الثبيتي.. حاضراً غائباً

قمْ . . يا محمدْ

فإنَّ العيونَ التي انتظرتك طويلاً

بكت في ظلالِ القصيدةِ

والقيظ لفّ عباءته حول صدركَ

حتى ترمّدْ

فقم يا محمدْ

أناديك . . قمْ

يا أميرَ القصيدةِ

يا أبيضَ القلبِ والأفْق أسودْ

أناديكَ

قم . . يا محمدْ

كأنّ فؤادك تلك الحديقةُ حين سقيت شجيراتها بالسهرْ

ونسّـقتها بالهمومْ

نازلاً من سفوحِ حراءْ

إلى ما وراء الجمومْ

وهذي القصيدةُ

تلك العنيدةُ

أنت تركت لها البابَ نصفَ موارِبْ

على أيّ بحرٍ ستأتي

على الرمل والمتقاربْ

أم على بحر قلبكَ

ذاك الذي بابه ليس يوصدْ

أودعنا ربنا في البريةِ

مثل فراشٍ يحومُ على نارهِ

واستفقنا على الجرحِ يا صاحبي . . وضفاف الغيابْ

فقل كيف تذهبْ

ولمّا يزل في القصيدة «وضاح»(*) يلعب في الرمل

حافياً ووحيداً

في الهزيعِ الأخيرِ من الحزنِ

قم يا صديقي

ستخمدُ ناري إن غبتْ

يا أمير القصيدةِ

يا سيّد البيدِ

(زدنا من الشاذلية

حتى تفيءَ السحابةْ

وهات الربابة. . هات الربابةْ)(**)

ينام المغنّي على الرملِ يكتب معناه

حتى يسوّي تضاريسه من جديدْ

(*) وضاح عنوان قصيدة للثبيتي.

(**) مقطع من قصيدة الثبيتي «تغريبة القوافل والمطر».

أو أنه سوف يحفرُ في قلبه عن معانٍ تعازفها الطير ذات نهارْ

وكان القرين هو النايْ

يا من ستكمل معنايْ

إلى أين تذهب

فعد . . يا محمد

سنموتْ

يا لجلال الطبيعةِ

شكراً لربي

فقد يفلحُ الأرضَ أبناؤها ويروحونْ

وتبقى على الأرضِ أشجارهم كالقبورْ

حيث رموا بمعاولِ أرواحهم في الشجرْ

سيقال

كسروا جرّةَ السهل وانطلقوا في الجبالْ

حنّوا أصابعَ أرجلهم بالترابْ

أقاموا منازلهم في الحنينْ

وجاسوا ليالْ

وقالوا سلاماً على الناسِ

محترقين مضوا ليضيئوا منازلَ أولادهم

سيقالْ

كانوا يجيلون عن ليل أحلامهم ظلماتْ

خلفها ظلماتْ

ويبتكرون حدائقهم في الهجيرْ

يقولون ما لم يكن في كتابِ الكلامْ

وما لم يمرّ ببال أراجيحهم في الأعالي

سرائرهم . . ورسوم دفاترهم

والنشيد الذي نثروه على وطنٍ في القصيدِ

مقصّـات أطرافهم في ثياب الكتابةِ

ما انتشلوه من الجبّ من شهقاتْ

سيقالْ

ولدوا ساهمين

لهم في التأمل غاباتهم وطرائدهم

وقيافة آثار أشباههم في الحياةْ

وكانوا يريدونَ

ما ليس يرجونه في المحالْ

سيقالْ

هم الشّعراءُ

أماطوا لثامَ القصيدةِ عن وجهها

فتبدّت مها يتقيها الرجالْ

ويقالْ

كان لهم وطنٌ

كلما طلبوه نأى

وتعالى عليهم

لم تطله أراجيحهم في الصغرْ

فتمنّوه في زهرات الشبابِ

التي ذبلت زهرةً . . زهرةً

في إناءِ السنينْ

لم يكن في يديهم حصى

ليزدلفوا

أو منى ليقيموا الخيامْ . .

فتمّروا بآلْ

وأناخوا ركائبهم في الخيالْ

ثوّروها . . فقامت

أتذكر إذ كنت تسرحُ بالإبْـل يا صاحبي

وأنا لا أذودُ عن الإبْــل إلا السرابْ

كيما نرى في البعيد بلادي

بلادي . . بلادي

لم يعد للقصيدة حادِ

فقم يا محمدْ

قم يا محمدْ

أناديك يا من وضعت القصيدة (عوداً) لعشاقها في المباخرْ

وجاءت (شروق)(*) بأوراقها كي تذاكرْ

فهيّئ لها من نشيدك درسَ الهجاءْ

وشيّـد لنا من قصيدك صرحاً ممردْ

أقم من سهادك ديباجتيه وسافرْ . .

على مهلٍ . .

فالحياة التي يتمتنا طويلاً على ظهرها

كم زهت في يديها دفاترْ

وماتت دفاترْ

فمن أيّ أحداقها سنُرَى

ومن أيّ أبوابها سنغادرْ

فسبحان من خلق الكلماتِ

لنجعلَ منها الملاذَ الأخيرَ

وزاد المسافرْ

(*) شروق ابنة الشاعر.

هل أنا كي أكون سواي . . أغني

وأنت حزين ومجهدْ

لك الله

ذاك الذي ليس يعبد

إلاّه

وأبوابه ليس توصدْ

فقم يا محمّدْ

إني أناديكَ

قم . . يا محمّدْ

نجمة الحبر

لنا قمرُ في اليمامةِ.. عالٍ

ولكننا حين نسهر يهبطُ من درجٍ في السماء ليسهر

لنا نجمةُ الحبر..

نكتبها..

والسماوات دفتر

...

لنا في الرّصافة نايان

سينأى بنا الحزنُ حتى نؤلف أرواحنا

في كتابِ الهجاء

المبعثر

...

لنا في الحمام

هديلُ اثنتين

ولكنّ دمعهما قد تحجّر

. . .

لنا في الحنان فؤادٌ يتيم

ولكنه، حين نعشق،

أخضر

. . .

لنا امرؤ القيس

يبحثُ عن بلدٍ ضائعٍ

ثم يُقبر. . .

. . .

لنا مالنا

غير هذا الجحيم الذي قد أحاط بنا

من جميعِ الجهات

ولكنه عن ندى

سوف يُحسر

لنا الله . . واللهُ أكبر .

القلطة

ذهب الناس بمعناهم، وخلوني وحيداً..

أحرثُ الورقَ الأبيضَ في صمت، وفي بحثٍ عن المعنى الذي راح ولم يترك قديماً أو جديدا..

ها أنا..

أعتمر ثيابَ الحكمة، والحبر يغطّي ساعدي، يا وردة الشعر تعالي، يا حصى طح، يا حروف الجر انزاحي قليلاً، انتظر يا حبر، هل رجع البدو من المقناص يتلون قصيدا؟

فاعلن مستفعلن

فاعلاتن فاعلن

ثم كم باباً له المعنى

يا الله.. يا الله

كم يجلو معناي دياجيري فلا أفقه إلاّ ما أعيدا

ثم كم صحراء أحتاجُ لكي أنقضَ كالشاهين، أنشد في القلطة عن

أرضي وخوفي أن تميدا

وأنا أنقل (مسباحيَ) من يمنى ليسرى

دقت الأرجل باب الأرض . .

نهضت طيرانهم أرجوحة في الأفق الصاخب وانسل فتى وتلوى الصفّ طيراً بجناحين من الأبيض والأحمر . .

ينشقّ عن الصف غلام يلثغُ الشعر أسمّيه قريني

حين قال: قربوا (الطار) من النار قليلاً . . فهناك الصف . . قام

قال أقربهم لي: ما الذي تفعله الأرض بنا يا صاح؟

قلت: أسرار الغرام

قال: إمنحني يداً . . صوتاً مديدا

أنا شاهينك، فاطلقني على نفسيَ واترك لي حماي . .

قال ما قال ولكن إذ تلفتُّ رأيت

لم يكن في الحلبة من ناسٍ سواي . .

وأنا أنقلُ (مسباحيَ)

مختالاً . . وحيدا

وجدان

نمرُّ على الوشم

قلب الرياض يدقّ على بابِ هذا الجسد

يقول افتحوا البابَ كي يتسلل من رئتي الدخانُ الذي في سماي احتشد

نمرّ على الوشم

نصغي لقلبين كانا هنا ولكنما نبضها قد خمد

نمرّ على الوشم يا أربعاء الرماد تقطّر من ضفّتيك السواد،

لنا في الرياض فؤادُ البلد

أتيت هنا قبل عشرين عام

ومن شارعٍ فيه تبدو فلسطين كنا نحثُّ الخطى نحو حلم الصبا وكانت

حديث الرفاق وأول أشعارنا في الحنين وآخر أشعارنا في القمر

وإن أمطرت قلت مروا على الوشم نلقي عليه السلام.. نقص حكاياتنا

للمطر

ووجدان كانت هناك تلاعبُ عصفورها في حذر

وتسقيه ماء الحياة ولم تدر أنّ الطغاةَ سيسقونها من شراب أسن

ووجدان كانت هنا ـ قرب هذا الجدار ـ تحدّثُ عصفورها عن دروس

الصباح وعن حلم أمس الذي ما رأت مثله في المنام: كانت تطيرُ إلى أفق

أخضر وسرب عصافير بيض يشاركها في الدعاء لهذا الوطن

ووجدان كانت حديث الرفيقات في الصف كانت تجيد التأمل في الكائنات

وكانت تريدُ التحدّث عن أملٍ منتظر

حين تغدو الشهادةُ كالتاج فوق الجبين.. وزهو علاماتها كالدرر

ووجدان كانت هنا دمعةً في البيوت ـ تحت هذا الجدار ـ ولكنها سوف

تبقى لنا كالنخيل الذي لا يموت.. وإرهابهم يحتضر

الزائر الأخير

في رثاء عبدالعزيز مشري

رياح تلفّ إزار الحرير على شجراتِ الغياب

زهور تنسّقُ أوراقها عند قبر

وليس هنالك غير وجوه الصحاب

توزّعها. . لوحةً. . أو كتاب

وصروف القدر

* * *

خطى في ممر

ترى من أتى

ليزورَ الفتى

في الهزيعِ الأخيرِ من الليل. . من؟

طبيب الكلى

جاء كي يجدلا

في دمي إبرة الأنسولين

أم هو الصاحب المؤتمن

أتى كي يردّ الغطاء على جسدٍ ناحلٍ في مساء حزين؟

أم هي الأرض يا صاحبي

أنت قطرتها

منزلا

منزلا

في كتابِ الحنين

* * *

خطى في ممر

غيوم تمرّ بأهدابِ عبدالعزيز

كأني به الآن يرفعُ نظارتيه

ويمسح في أرق ساحر دمعتين

سالتا من عيونِ الشجر

* * *

فؤاد يرتل آياته في صلاه

على الأرض نظارتاه

وثلج الزجاج انتثر

ما تهاوت يداه

لم يزل في يديه الكتاب

وفي موق عينيه دمعُ الشجر

* * *

أيه يا سروي

يا أرضنا الطيبةْ

ويا ملح أيامنا الرائعةْ

لقد متّ والناس في ناظريك

فحمدت السرى

طاب يا سروي

طاب هذا الكرى

قـــانا

فيروز..

أجمل ما يقطره فم..

إن أمطرت..

وأرقّ ما تمشي إليه حقول.

كانت لنا في الزعفران مذاهب..

ولها بدرب الزعفران خيول.

الحاجبات عن الخمار الشمس..

جئن حين غنتنا..

بكت فينا رموش عيونهن..

وكحل مرودها يقول.

صف لي هواك.. هواك

كي أضعَ العبارةَ فوق ثقبِ الناي . .

والناي بين بناتِ أفكاري يجول .

وتعال . .

كي نرفو على «وضح النقا» . . جرحا

أطال به المعنى وقفة جرداء . .

ما درست على المعنى الطلول .

وتعال . .

كي نستنبتَ المعنى من المعنى . .

وتنزل في مضارب روحنا الثكلى بتول

قد كنت أعرفُ ما يريدُ الناس يا أبتي . .

«أزهدت بالمبنى عن المعنى»؟

أجل . . لكنني ظللت حرف الغي . .

فوق قافية تقول ولا تقول .

لا شيء غير سفائن روحنا في الماء. .

لا المعنى يؤصّل نفسه فينا. .

ولا هذي الحلول.

قف بي. . تعبت

وليس ينهض في دمي وِرْدٌ

وليس يُرَى على ظمإٍ طفولُ

لا نجمة في الصبح تبدو لي. .

ولا أهل يمرون العشية بي. .

ولا أصحاب يقتاتون من حزن الخلي. .

ولست عن مسرى أحول.

لا الشاذلية أفرغت ترياقها فينا. .

ولا ألقت تمائمها الشّمول.

ونقولُ كم ننسى. .

فيتعبنا الأسى . .

ينهار فينا حائطُ النسيان. . يا أبتي

لمن نشكو إذا خان الرسول.

ألقوا تمائمهم إلى إيوانِ تلموديها. .

وفراشهم في ناره المذهول.

وتدافعوا كالساحبين على الخراب الذيل. .

لا أمل سيرجى منهمو. .

كلا ولا مأمول.

قف بي على قانا. .

وقد جفّ الدمُ القاني فوق الأرض. .

ما وقفت على الماء الخيول.

أطفالنا. . أكبادنا. .

أيقونةُ النسيان باردة. .

وهذا الليل غول.

نطوي معاطفهم على الذكرى . .

على دمعِ الفراقِ الصعب . .

يغسلنا الذهول .

ونقول كانوا في الطريق . .

يوزّعون الملح . .

في خبزِ النهار المرّ . .

تجمعهم بنا ضحكاتهم . .

ويلمّهم زمن ملول .

ونقول كانوا في رواق ضيق يمشون . .

مخضوبين بالحِنّاء . .

والسدرُ الغسولُ

كانت لنا أوراقهم . . ألعابهم

مغسولة بالشمس

أرجوحاتهم خضراء بعدهمو . .

ندى الذكرى بتول .

يا أمنا العمياء . .

لا تتكحّلي بالحبر . .

حتى لا يمرّ بعينك الوسنى ذبول .

أماه لا تصفي لنا الذكرى . .

سنعرفها . .

على أعرافها دمع ولول .

يا أمنا . .

أم الندى العطشان في أجفاننا . .

كوني لنا يا أم

كوني هوى نزول . . ولا يزول .

وأي مناكب في الريح . .

تمنحنا على الشكوى يداً بيضاء . .

إن هزّت مناكبها الفصول .

والباقيات على الزمان اختان . .

قافية وراحلة ذلول .

ولنا إذا فاض الغرام بنا . .

قرى تمشي إلى غاياتها . .

وتدقّ رحل السادرين بغيهم . .

عودوا . .

لقد تاه الدليل .

بورتريه لامرأة محبطة

..

أكلما هممتُ أن أجردَ المرودَ من مكحلتي

يَرِفّ جفنُ عيني

فمن ترى قد آب

لا حبيب لي ولا مسافرين

والذي أودّ لم يُبِن

ولم أبن له حنيني

في هودجي

أشكو كآبة الخيامِ.. والخطام

واليدَ التي تقتادني.. وتقتفي ظنوني

أشكو هماجَ الماءِ في سنيني

كأنما المرآة أختي التي أُشيرها في الأمر

وكلما ساءلتها.. تقول خبريني

وكلما هممت أن أجرد المرود من مكحلتي

تساقط الفرسان.. من جبيني

زمان الصمت

في رثاء طلال مداح

«زمان الصّمت» مرّ ولم يجبني

أيصمتُ صوتك الزاهي الحبيبُ؟

وأنت نسجته شجناً خفياً

على أرواحنا إذ نستطيبُ

فنسأل كيف يسرقنا ويمضي

ويبقى في القلوب له وجيبُ

«وترحل . . صرختي تذبل بوادي»

ونكّس رأسه الصبحُ الكئيبُ

وإن مولت مالت بي نخيل

وهزّت جذعها وبكى العسيبُ

وإن أبحرت في «أحلى الليالي»

فكل قواربِ الذكرى نحيبُ

وإن لزت بنا خيلُ الأغاني

فخيلك في ملز الذوق طيبُ

أمن زرياب أنت قبست ضوءاً

ودوزن عودك الشادي عريبُ

أخذت بذوقنا فانساب نهرٌ

ولن يبقى سوى «وطني الحبيبُ»

صورة غير شخصية

لي كل هذا الليل..

في الصحراء يستلقي

ولي قلبي على غبشٍ دليلي.

لي شاخب إكليل

ينهل من عل..

ويفيضُ في مرعى

إذا ما مرّ وادي الصمت سيلي

لا.. لست أعشى قيس..

لا الضليل ابن أبي..

ولم أرهن لدى دار السّموأل

عدّتي وحذاء خيلي

لي مهرة سمراء

أطلب ودها ما عشت. .

أقرأ ما تيسّر من كتابِ الرمل في أعرافها

وأقول لا تقفي على طلل الذليل

ولي فراشاتي. .

أمرر جبهتي في نارها. . وأبدل الألوان. .

لي عدلي وميلي.

هذا أنا مذ رفرفت بيضاء في روحي. .

وقالت لي أقل هذا السواد. .

من العباد. . ومن سبيلي.

نجمة

لم نعد نلمعُ إلاّ في الظلامْ

نحن أبناء الدروب الضيقةْ

سافر الحلم ولم يأت السلامْ

وتوارت في المدى منعتقةْ

فضّةٌ أنحل من ريشِ الحمامْ

وأرق إن شئتها من حدقةْ

فكرة تقطفُ عنقودَ الكلامْ

بعد أن يقطر منها منه أعتقه

آخت الريح وآوتها الخيامْ

وهي للشّعر على عهد.. ثقةْ

وتعلت فوق تيجانِ الغمامْ

وهي تستنبي الندى عن ورقةْ

نفقت خيلك في الأرضِ الحرامْ

وعلى الماء.. خيول مطرقةْ

يا الفوانيس التي ليست تنامْ

والأحاديث التي.. مسترقةْ

قد تراءيت ولي عشرون عامْ

بعد عشرٍ مترفاتٍ نزقةْ

وأنا لازلت في هذا الظلامْ

أتهجى نجمةً محترقةْ

الفراشة

هنا.. حيث لا فتنة تتجلّى سواها

هنا ثمّ قلبي

حيث المليحة تجثو على مرفقيها تشمّ البنفسجَ..

والليلُ طيّرَ حول يديها فراشِاته

والندى يتفسّحُ في مقلتيها..

وأنا جسدٌ غارقٌ في غياهب نعمى

وأيامه لا تعدّ بساعاته..

بل بما يتنفّسه من رذاذٍ بهيّ.. على ساعديها

ومن ذا سيحملُ قلبَ الفتى كي يريها

غاض البنفسجُ في الماء..

وارتفعت كالفراشةِ تطفو عليه ويحنو عليها..

لم يكن ما يخبئه غير قلب عصي

وباح لها في الصباح بما في سريرته

وأعطته ما في يديها

ترى ما الذي قاده في طريق الخلود

سوى الورد. .

من أتاح له أن يكونَ هنا جالساً

يلثم في هدأة الليل ما لم يكن قبل في شفتيها

خال البنفسج يرقص في سهرٍ جاهلي.

والفراشة تطفو على الماء. . .

وكان كظلٍّ غزالٍ يغنّي على ركبتيها

* * *

الفراشة غابة ذكرى

كلما أقبل الليل. . عادت إليه. . وعاد إليها

نادي الجوف
الأدبي الثقافي



ISBN 978-614-404-398-1





